ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

"21عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

العدد (5947) السنة الثانية والعشرون - الاثنين (21) تموز 2025

www.almadasupplements.com

ذاكرة عراقية

مدينةُ القُرنة في كتاباتِ الرحَّالةِ الأجانبِ

بدايات الطب العدلي في العراق

د.حيدر حميد رشيد

تعود فكرة تأسيس الطبابة العدلية في العراق إلى مدير الشرطة العام صبيح نجيب الذي أصدر في عام ١٩٣١ تعميماً إلى أطباء مصلحة الصحة، مفاده عزم مديرية الشرطة العامة إيفاد عدد من الأطباء إلى أوربا للتخصص في مجال الطبابة العدلية، غير أن دعوته تلك لم تجد استجابة تذكر من الأطباء، فتم عرض الأمر على الدكتور أحمد عزت القيسي الذي كان حينها يدرس الطب في فرنسا، فطلبت إليه المديرية المذكورة التخصص في ميدان الطب العدلي على نفقتها فاستجاب لطلبها، وبعد أن أنهى دراسته عاد إلى القطر، وعين بتاريخ ٢٢ أيلول ١٩٣٢ طبيباً عدلياً على ملاك مديرية الشرطة العامة، وانتدب للعمل في المستشفى الملكي رئيساً لشعبة الطب العدلي فيها.

وهكذا بذرت أول نواة لهذا الفرع المهم من فروع الطب المختلفة ولم تنقطع بعد ذلك مطالبات الدكتور احمد عزت القيسي الجهات المعنية بالأمر بتأسيس معهد خاص للطب العدلي ليكون مرجعاً لمختلف الأطباء القائمين بأمور الطبابة العدلية في العراق، ويبدو ان مطالباته تلك قد وجدت تجاوباً محدوداً من لدن القائمين بأمور الصحة في ذلك الوقت، فوافقت مديرية لصحة العامة على إجراء توسيع بناية شعبة الطبابة العدلية، وذلك بإضافة اربع غرف جديدة إليها، كما قررت بتاريخ ١١ آب ١٩٣٥ تعيين الدكتور وصفي محمد علي مساعداً له.

كانت أعمال الطبابة العدلية قبل تأسيس معهد الطب العدلي، وقبل تأسيس شعبة الطبابة العدلية، تناط إلى أطباء مديرية الصحة العامة إلى جانب وظائفهم الرسمية، وكان يجري عادة تشريح الجثث في بنايات غير مستوفية للشروط الصحية والفنية، حتى شيدت بناية خاصة للعيادة الخارجية في المستشفى الملكي عام ١٩٢٨، وكانت اول بناية حديثة أضيفت إلى الأبنية القديمة، وقد خصص فيها قسم صغير للطب العدلي مكون من من غرفتين صغيرتين وصالة تشريح غير مزودة بجهاز تبريد.

وفتح في عام ١٩٣٨ أول مختبر طبي عدلي داخل شعبة الطبابة العدلية، وبتاريخ١٢ حزيران ١٩٣٩ انفصلت شعبة الطبابة العدلية عن مديرية الشرطة العامة وألحقت بمديرية الصحة العامة بعد ارتباط الأخيرة بوزارة الشؤون الاجتماعية المستحدثة فأطلق عليها لأول مرة أسم " معهد الطب العدلي.

وفي عام ١٩٤١ انتقل المعهد إلى بنايته الجديدة في منطقة باب المعظم (يتوسط حالياً وزارة الصحة وكلية الطب) وقد شيد المبنى على وفق طراز فني حديث، زودت منشآته بأجهزة التهوية والتبريد، وبكل ما يحتاجه المعهد من أدوات ولوازم ومستلزمات عمل الطبابة العدلية.

تكونت بناية المعهد من طبقتين مقسمتين إلى شعب تكاد تكون منفصلة بعضها عن بعض حتى بأبوابها الخارجية، ولكل شعبة موظفون ومستخدمون يختلف عددهم بحسب الواجبات المناطة بهم، فضلاً عن الغرف الأخرى المخصصة للقائمين عن إدارته من ملاحظ ومحاسب وعدد من الكتبة المختصين بطبع تقارير المعهد أو استنساخها، ثم أصدارها وحفظها وفق الأصول المتبعة، وقد تألفت الطبقة الاولى من المعهد من الأقسام الآتية:

أ- قسم التشريح: أختص هذا القسم بالإصابات المرضية والعوارض من الجروح القاطعة والواخزة، وغير ذلك من الإصابات. وكان القسم يتكون من صالة واسعة أحتوت على جهاز مُبرد للهواء وأجهزة أخرى ساحبة للهواء، ومجهر للمقارنة، وأخر للطيف الشمسي المعاكس، وجهاز للأشعة ما وراء البنفسجية وأدوات أخرى من شأنها أن تسهّل إجراء تجارب تشخيص البقع الدموية والمنوية وتعيين مجموعاتها، وفحص الشعر والبقايا النسيجية.

ج- قسم التصوير والأشعة: أنشئ هذا القسم عام ١٩٣٨ وجهز بما يلزم من مواد وأدوات للقيام بمهمته، كان القسم يقوم بأخذ الصور الشمسية للجثث وما عليها من أضرار مختلفة، والمصابين في الحوادث الجنائية، وما في ملابسهم التي كانوا يرتدونها خلال الحادث من أضرار أو بقع دموية، ويقوم بمساعدة المستشفى التعليمي في الوقت نفسه بتصوير الوقائع النادرة لخلو المستشفى هذا آنذاك من شعبة خاصة بالتصوير، وكان المعهد يلبي طلبات المستشفى المذكور بدافع خدمة العلم وروح التعاون وشيد للقسم جناح خاص به في العام ١٩٤٨.

د- قسم قضايا الشرطة اليومية: تولى هذا القسم أمر تسلم مختلف الرزم البريدية الخاصة بالوقائع الطبية العدلية من إصابات وجرائم التعدي الأخلاقية، وللقسم غرفة خاصة للطبيب الفاحص وأخرى للفحص الطبي مجهزة بما يستلزم من أدوات ومواد طبية.

ترجمة رائدي الطب العدلي في العراق:

الدكتور أحمد عزت القيسي:

رائد الطب العدلي في العراق، ولد ببغداد في ٢٠ حزيران ١٩٠٦، وبعد أن أنهى دراسته الابتدائية والأعدادية فيها، التحق بكلية الطب بدمشق وقبيل انتهاء دراسته فيها التحق بكلية الطب في مونبلييه بفرنسا، ثم التحق بقسم الدراسات العليا بباريس لدراسة الطب العدلي، فحصل على دبلوم الطب العدلي والأمراض العقلية ثم تدرب بعد ذلك لمدة ثلاثة أشهر في معهد الطب العدلي بباريس، وبعد عودته للقطر انيطت به أعمال الطبابة العدلية في المستشفى الملكي وطبابة الموظفين وطبابة دار الشفاء ومستشفى الأمراض العقلية، وفي عام ١٩٣٣ عهد إليه تدريس مادة الطب العدلي في الكلية الطبية، اوفد في عام ١٩٣٦ إلى بريطانيا، إذ عمل تحت إشراف أستاذ الطب العدلي في جامعة أدنبره سدني سميث (Sydny Smith)، شكل مع زميله الدكتور وصفي محمد علي ثنائياً فعملا بلا كلل في بناء وتطوير الطبابة العدلية في العراق، تولى إدارة المعهد منذ تأسيسه وحتى نهاية العهد الملكي، ثم عين بتاريخ ٤ تشرين الأول ١٩٥٨ عميداً لكلية الطب، وفي بداية عام ١٩٦٣، أحيل على التقاعد، وفي ١٦ تشرين الأول ١٩٦٣ أعيد تعيينه طبيباً اختصاصياً في معهد الطب العدلي ببغداد ومديراً له. توفي في أول يوم من أيام عيد الأضحى المبارك المصادف ١٤ كانون الثاني ١٩٧٣ وهو اليوم نفسه الذي توفي فيه والده ووالدته له آثار علمية عديدة، نشر عدة بحوث حول تنظيم أساليب الطبابة العدلية وتعليم الطب العدلي، ودراسات عن بعض الوقائع الطبية العدلية التي ألقيت في المؤتمرات العالمية للطب العدلي، وله مؤلفات عديدة.

الدكتور وصفي محمد علي

الدكتور أحمد عزت القيسي

الدكتور وصفي محمد علي:

من الرواد الطب العدلي الأوَل في العراق، ولد ببغداد عام ١٩٠٩، ألتحق بكلية الإمام الأعظم بعد اتمامه الدراسة الابتدائية، درس الطب بعد ذلك وتخرج من الكلية الطبية عام ١٩٣٥ وعين مساعداً للدكتور أحمد عزت القيسي، ألتحق بكلية الطب بجامعة القاهرة عام ١٩٤٤ وحصل منها على دبلوم الطب العدلي وعلم السموم، مارس الطبابة العدلية مع السير سدني سمث أستاذ الطب العدلي في جامعة أدنبره للمدة ١٩٥٠ – ١٩٥١، وقام بتدريس الجانب العملي من مادة الطب العدلي في كلية طب أدنبره، كما مارس الطبابة العدلية مع الدكتور كيت سمبسن (K. Sampsun) أستاذ الطب العدلي فيها، ثم انتقل بعد ذلك إلى جامعة هارفرد في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٥ وعمل بمعية الدكتور فورد (Foard)، ثم مارس الطبابة العدلية في كل من الدنمارك وفرنسا، وهو عضو الجمعية الطبية العدلية البريطانية منذ عام ١٩٥٥ وعضو الأكاديمية الأمريكية للعلوم العدلية منذ عام ١٩٥٧، وكان عضواً في جمعيات علمية أخرى، تولى رئاسة تحرير مجلة نقابة ذوي المهن الطبية ما بين عامي ١٩٥٣ و ١٩٥٤، وتقلباً لذوي المهَن الطبية للدورة الانتخابية الثالثة ١٩٥٨ ١٩٦٠، عين مديراً للطب العدلي منذ الأول من تشرين الأول ١٩٥٨ حتى يوم ٤ أيلول ١٩٨٢. ألف ونشر كتبا عديدة ونشر بحوثاً بلغ مجموعها (٦٤) بحثاً باللغة العربية والإنكليزية.

عن رسالة ((الأوضاع الصحية في العراق ١٩٤٥– ١٩٥٨ دراسة تاريخية))

أول رئيس للوزراء في تاريخ العراق عبد الرحمن النقيب وهوس النظافة

رفعة عبد الرزاق محمد

تمر هذه الايام ذكرى تأسيس أول وزارة عراقية في تاريخ العراق الحديث وهي وزارة السيد عبد الرحمن النقيب الكيلاني في ٢٥ تشرين الاول ١٩٢٠. وكان قدعرف السيد عبد الرحمن النقيب الكيلاني (توفي يوم ١٢ حزيران ١٩٢٧)بمزايا كثيرة، جعلته شخصية بغدادية متميزة عن الاخرين، الا ان شهرته اقترنت بمنصبه السياسي الرفيع الذي تسنمه في سنواته الاخيرة، وهو منصب رئيس الوزراء في اول حكومة عراقية في تاريخ العراق الحديث، وهي الوزارة التي وسمت بالمؤقتة وتألفت في ٢٥ تشرين الأول ١٩٢٠، فضلا عن كونه نقيب اشراف بغداد.

ولعل الاجيال الطالعة التي شغفت بالتفاصيل الشخصية سيسرها لو علمت ان عبد الرحمن النقيب كان يحرص على شراء الكتب وتجليدها بشكل جذاب، وكان له مجلد خاص به يدعى (حياوي)، وتزخر المكتبة القادرية ببغداد بهذه التركة الخطية الثمينة. كما كان يحب المصارعة الشعبية (الزورخانه) وتربية الخيول العربية والعناية الفائقة بالزراعة. اما اهتمامه بالمقام العراقي فقد كان كبيرا، ومن الطرائف التي تروى انه كان يوما جالسا في شرفة داره المطلة على نهر دجلة (منطقة السنك) وصادف ان مرّ زورق كان صاحبه يقرأ المقام بصوت عال ويتخبط بضبط اصول المقام، فاذا بالنقيب يصيح عليه ان يسكت ويسمع، فقرأ له المقام بشكل اصولي.

وكان يختلف الى مجلسه الذي كان يعقده في ديوان الحضرة القادرية (الداركام) مختلف طبقات الناس من علماء وادباء وامراء واعيان وتجار وساسة ورؤساء الطوائف والملل وزعماء القبائل، اضافة الى عامة الناس. وكان رحمه الله يتمتع بألمعية ادبية وعلم غزير مما جعله من انداد العلماء والادباء. وقد ذكر ان له مؤلفا باسم (الايام الشداد من تاريخ بغداد) لا يعرف عنه سوى اسمه ولعل احدا يعرف مصيره فينورنا بامره.

ومن عاداته الطريفة التي اشتهرت على الألسنة، هوسه الكبير بالنظافة، وقد دفعه هذا الهوس الى التوجس من مسك اي شيء قبل معرفة درجة نظافته، ومن ذلك تجنب ملامسة اليد او المصافحة، وقد ذكرانه عندما يضطر الى مصافحة احد يبقي يده بعيدة عن جسمه الى حين مغادرة الشخص فيسرع الى غسلها. وقد اوكل الى احد خدمه بفتح الرسائل التي ترده، ولا يشرب من الماء الا اذا تأكد من كونه قد جلب من منتصف النهر. ومن الطرائف ان صديقه الحميم السيد محمد سعيد ال مصطفى الخليل (ت ١٩٢٧ وهو من وجهاء الكرخ) داعبه عندما وجده حائرا امام مخطوطة نادرة عرضت عليه فقال له: بسيطة.. اغسلها بالماء.

وقد اطلعت في احدى المجاميع المخطوطة، وهو كتاب (الكنز الصالحي)، ان الشاعر عبد الحسين الحويزي كان قد زار بغداد في اوائل العشرينيات، فصحبه صديقه الشاعر الكبير الزهاوي الى بيت السيد عبد الرحمن النقيب، وعند دخولهما الى مجلس النقيب بادر الزهاوي مخاطبا النقيب:

ايها النقيب الجليل جئتك بدرة يتيمة من درر النجف.

فتقدم الحويزي وقدم يده لاجل مصافحة النقيب غير ان النقيب لم يعطه يده واكتفى بقوله:

اهلا وسهلا.

ويبدو ان الحويزي امتعض من ذلك ولم يكن يعرف طباطع النقيب فخاطبه مرتجلا:

لم تخشَ سطوتك العليا وان عظمت لا يرهب البازُ شخص جاره الاسد

والليثُ والذئب البازُ اكرمنا من طيب جدواه حاشا يبخل الولد

فابتسم النقيب وصارحه نجله محمود حسام الدين بان والده يعتريه الوسواس ولا يصافح احدا.

على ان اطرف ما جرى في هذا، كان مع السيد طالب النقيب، الشخصية البصرية الشهيرة، فعندما غادر طالب النقيب العراق منفيا يوم ١٦ نيسان ١٩٢١ وعاد اليه في الاول من ايار ١٩٢٥، اختط لنفسه خطة كان بمقتضاها قليل الاختلاط بالناس، وبقي كذلك الى ان تدخل احد اقربائه وهو السيد هاشم الرفاعي فاقنعه بضرورة زيارة الملك فيصل الاول (القصة بتفاصيلها تجدها في كتاب هاشم الرفاعي، ذكرياتي، بغداد ١٩٣٩، ص ٣-١١). وعندما جاء طالب الى بغداد استقبل بحفاوة اجتماعية وكان اخرها وليمة السيد عبد الرحمن النقيب، وكانت وليمة خاصة لم يحضرها عدا طالب النقيب سوى الشيخ صالح باش اعيان وهاشم الرفاعي.

ولما كان السيد عبد الرحمن النقيب يتطير من العدوى ولا يصافح يدا مهما كان صاحبها، ولكن السيد طالب المعروف بجرأته جرّ يد النقيب بالقوة وقبلها على الرغم من صاحبها. يقول الرفاعي: ولم يكد السيد طالب يجتاز غرفة نقيب بغداد الا وهبّ الشيخ من مجلسه فتخطى عدة خطوات ورغم شيخوخته وهو فرح يرحب ب (ولده) و (حبيبه) و (قرة عينه)، ورفع النقيب ذراعه الايمن وتلاه بالايسر ليطوق بهما ولده المحبوب في الروح ويعانقه..

بيد ان السيد طالب النقيب صارح نقيب بغداد الهاديء بما ازعج وافزع:

انك برفعك لذراعيك لا تريد عناقي بل تريد ان تبعدهما عني، كما بعدت عني يوم محنتي، اليس كذلك يا عم؟ هات يدك واغسلها بالصابون بعد ان تخرج منك ان شئت، وجرّ يده اليمنى فقبلها.

قيل عنه: وكان محباً للعلم له مؤلفات ومخطوطات كثيرة، قيل عن النقيب انه كان (عالما فاضلاً وكاتباً مؤرخاً) وتبرع بروائعه لتشييد مدرسة ثانوية بالقرب من باب الشيخ ليضيف بذلك موقفا جديداً الى مواقفه في انهاض الامة والوطن كان كثير المطالعة شغوفاً باقتناء الكتب وجمع المخطوطات وربما يكفي القول أن النقيب كان يملك واحدة من اكبر المكتبات الخاصة في بغداد ضمت اندر المخطوطات وانفس الكتب حتى انه كان يبعث بالرسل الى المدن والبلدان لأقتناء النادر والممتع والمفيد من الكتب والمخطوطات. ومن الجدير ذكره ان النقيب قد اهدى المكتبة القادرية (٢٩٧٣ مؤلفاً قيّما) وفضلا عن ذلك فقد عرف بأهتماماته الادبية واللغوية فكان مطلعاً على الادب العربي. مارس النقيب في حياته هوايات كثيرة فعرف بميله الى العمل بالبساتين والعناية بزراعتها عناية بالغة حتى اشتهر بين الناس بخبرته في هذا المجال وبقيت هوايته هذه في شيخوخته. يقول أمين الريحاني (كان عبد الرحمن النقيب يحمل في رأسه فلسفة روحية سياسية زراعية خالية من غش الاوهام) وكان ايظاً يعني بالرياضة على طريقة الزورخانة التي كانت منتشرة بين العراقيين على نطاق واسع وبمذاك واستأثر المقام العراقي باهتمامه فتذوق انغامه وتحسس بالحانه فأحاط به أحاطة مكنته من التميز بين أصيله ودخيله واهتم النقيب بأقتناء الخيل فقد كان فارساً له خبرة بالخيل واصولها وأمتلك الانواع النادرة منها والتي يعتز بها العرب والاحتفاظ بها كان النقيب يحب مجالسة اهل الخيل ويكرمهم ويستهويه الحديث معهم. ولم يكن غريباً أن يقيم النقيب للأنساب والاحساب وزناً كبيراً فقد كان نقيباً لأشراف بغداد اعتاد عبد الرحمن النقيب ان يعقد مجالس يومية أما في ديوان الحضرة الكيلانية بباب الشيخ أو في قصره على نهر دجلة في محلة السنك وكان يحضر هذه المجالس مختلف الناس ولا سيما العلماء والادباء من سائر الملل والنحل ووجوه المذاهب وبحسب ما يذكره الدروبي فأن مجلسه (كان اشبه بمجمع علمي يبحث في مختلف العلوم) أو ندوة ادبية يتعهدها الشعراء والادباء وكان يبحث في مجلسه المسائل السياسية ويحضره رجالات الدولة واقطاب السياسة. تزوج النقيب مرتين وأنجب من امرئتيه سبع بنات و ثلاثة عشر ولداً.

نص نادر

رسالة نادرة من المؤرخ يعقوب سركيس الى الاب انستاس ماري الكرملي

صورة تاريخية فريدة مع المستشرق الفرنسي الكبير ماسنيون يشاهد فيها من اليسار الى اليمين المرحوم يعقوب سركيس وسعدي خليل وماسنيون والمرحوم مسكونى والدكتور احمدسوسه وكوركيس عواد .

بغداد في 15 شباط 1934 الى القاهرة

حضرة العلامة الكبير الاب الفاضل انستاس ماري الكرملي المحترم

احتراما جزيلا وتحيات كثيرة واشواقا غزيرة. وعسى ان يكن ايابكم قريبا فتقر العيون. جاءنا أمس حضرة الاب الرئيس وبيده كتابكم المؤرخ في ٩ الجاري ولم اكن في الدار اذاك، فشكر لحضرتكم على تذكركم اياي. كنت سألت عنكم الاباء عدة دفعات فكان جوابهم انكم بخير وسرني مافادوني به من اخبار عنكم.

لكم الشكر ثانيا على ارسالكم الي بالكتاب المسمى (بنو معروف) فقد وصلني هذا الاسبوع مع بريد الهند ولم اجد فيه ماكنت أؤمل الحصول عليه وهو سبب تسمية القوم بنو معروف وماكان تطلبي له الا لهذه الغاية لامر تاريخي. سبحان الله قبل اخذي رسالتكم كنت انوي ان اكتب اليكم شاكرا لكم على البعث بهذا الكتاب وكان في نيتي ان ارجو منكم اهداء التحية والاحترام للاستاذ المحقق المنقب عيسى اسكندر المعلوف وان لم يتعارف احدنا مع الاخر لامواجهة ولا مكاتبة والذي كان يدفعني الى ذلك شغفي بكل مايكتبه على ماتعلمون والان اجد في كتابكم تحياته فقد صدق من قال (من القلب الى القلب سبيل) ولحضرتكم مني الف تحية وسلام.

أرتئي رايكم في الاستاذ مصطفى جواد فاذا كان له في البداء ان يعرف نفسه في مصر وقد تم ذلك لذا عليه الان على ماأعتقد وانا فضولي في هذا القول ان ينصرف عما يشغله في درس الفرنسية تفرغا له ثم يعود الى مايريده بعد اتمام دروسه المطلوبة في فرنسا وارجو منكم اهداء تحياتي وهي بمقدار مايشعر به من الكثرة.

منذ سفركم لم الاق الاستاذ عباس العزاوي الا قبل يومين فقد صادفته في مكتبة نعمان الاعظمي وكان هناك طائفة من الكتب المطبوعة والمخطوطة فقد جلبت من النجف وكنت قد نظرت فيها قبل مجيئه ولم اعثر فيها عما يروقني ثم جاء فبان لي انه كان قد وقف عليها فاشترى بعضها بحضوري بنحو نصف دينار وقد سالني عن حضرتكم ولم اكن قد اخذت كتابكم بعد لاحكي منه طرفا.

اخبركم عن مخطوط لمؤلفه وله شهرة وقد اشتريته في ١٦ كانون الثاني الماضي بنيف وعشرين. وصفحات هذا المجلد هي ٢٧٧ ومقياسها ٢٢ سم × ١٦ بخط خشن وهو (الجزء الاول من اخبار بغداد وماجاورها من البلاد) للشيخ محمود شكري الالوسي. ولاعتقادي انكم ترغبون بالوقوف على وصفه ومضمونه ومصادره فاني ابادر الى ذلك مع كلمات في نقده غير متوسع خوف الاطالة.

قال الاستاذ الاثري عن هذا الجزء في اعلام العراق (ص ١٥٠) انه في ١٥ كراسه

وقال نعمان الاعظمي (صاحب المكتبه في مقدمته على المسك الاذفر بعد ان تكلم على ان تاريخ بغداد للالوسي في ثلاثة اجزاء: اما الجزء الاول والحالة هذه غير ميسور نشره فيما نظن) وذلك بعدما نقل مقالته الاثري في اعلام العراق. هذا ماقيل فيه اما الدافع فهو غير ذلك فقد جاء في مخطوطي الخاتمة بحروفها التالية: (وحيث وقف بنا القلم في هذا المقام من المجلد الاول من عدة مجلدات عزمنا بحوله تعالى ان نبتدىء من المجلد الثاني بالكلام على من تولى بغداد من الحكام الى عصرنا.. ثم نتبع ذلك فيما بغداد من المساجد والمعابد والمدارس والتكايا والزوايا.. (فهو كتاب مساجد بغداد واثارها الذي طبع) ثم ذكر تاريخ بعض المباني الجسيمة ووصف اصحابها ثم نتبعها بذكر بعض البيوتات في بغداد وبعض تراجم العلماء المشهورين فيها وشعرائها وادبائها الذين نبغوا في القرن الثالث عشر الى عصرنا هذا (فهو المسك الاذفر وان لم تذكر فيه البيوتات) ثم نبسط الكلام على مذاهب العراقيين ونحلهم وعلو شأن ائمتهم وعوائدهم في الماكل والملابس والافراح والماتم ثم نتكلم على من سكن ارض العراق من القبائل الرحالة.. مماييستفيد منه كل من نظر اليه من بحوله تعالى وتوفيقه..) انتهى كلام المؤلف وقال الناسخ انه فرغ من نقله عن مسودة المؤلف في ليلة نصف شعبان سنة ١٣٢٧.

وتبتدئ هذه النسخة التي في يدي بالفهرست ثم تتلوه مايلي (اخبار بغداد وما جاورها من البلاد) وفوق هذا الكلام قد اضاف المؤلف بخطه (الذي اعرفه ماكتن رأيته عندكم) قوله: (المجلد الاول من كتاب) ونجد له بعض الكلمات في القليل من الصفحات في الحواشي.

ويمكن تلخيص مافي هذا الجزء ان المؤلف جمعه من مقدمة الخطيب ومعجم البلدان ومراصد الاطلاع في صفحاته الاولى شيء من التاريخ عن الحيرة وبناء الكوفة والبصرة ووإسط وبغداد وسامراء وهو منقول من مصادر معروفة لاغير ذلك وليس فيه تتبع عميق وقد تكلم المؤلف عن على دارين او ثلاث كان ينؤها في زمنه ووصفها مع الاطراء.

وادرج ماقيل في ذلك عن القصائد كما انه تكلم على مجرى الفرات في الهندية مع نقل بعض المضابط التي رفعها اهل الحلة الى الحكومة واورد ماقيل في سدة الهندية في سنه ١٣٠٨ هجرية من خطب وقصائد وماييعود الى هذا الزمن قديبلغ نحو ثلاثين صفحة له فيها بضع صفحات. ومما رايته غريبا عند المؤلف (ص ١٨٢ من مخطوطي) عد مراصد الاطلاع من مؤلفات ياقوت وكان قد فاته اذ ذاك ان مقدمة مؤلفه نفسه تنقد ياقوت فالكتاب لغيره وهو لصفي الدين كما تعلم. وخلاصة الكلام ان تاليفاً على المنوال الذي اتبعه المصنف ليحتاج الى علم غزير ودراية وافرة فانه نقل لايتبعه تحقيق وبوسع كثيرين ان يضعوا تلك الكتب امامهم وينقدوا مايرونه داخل الخطة التي رسموها لانفسهم فميزة هذا الجزء الوحيد انه جمع مافي المصنفات في مجلد واحد هذا ولا ادري هل انه وعى كل مافي المعجم وصنوه المراصد عن البلاد والمواضع وما قصده المؤلف في تصنيفه وللكتاب ميزة اخرى انه للالوسي كما ان لنسختي ميزة خاصة انه نظر فيها.

ولعل نسختي وحيدة لقول الاثري ان المؤلف لم يتم الجزء الاول فنظر انه لم ير نسخة حوت مافي هذه ولو قال غيره قوله لما كنا نعيره بالا لكنه من الذين لايفوتهم الوقوف على هذا الجزء لو كان موجودا في في خزانة المؤلف ولعله اول هولاء الناس واي رجل منهم له صلة بالالوسي وخزانته اكثر من الاثري!

وقد عد الاستاذ الاثري. ومثله مقدمة الكتبي نعمان. المسك الاذفر جزءا ثانيا من الكتاب مع ان خاتمة المؤلف للجزء الاول تفيدنا ان الجزء الثاني سيكون بحثه في من تولى بغداد من الحكام واذا نعلم شيئا نت عن هذا الجزء فهل لم يضف؟ ويجوز انه ضاع فلم يعرفه الاثري كما انه لم يعرف اتمام الجزء الول. واقرب ماوجدناه من صاحب الكتاب الى عصرنا ماورده عن الحلة وسدة الهندية وهذا بعضه: وانقطع مجرى ماء الفرات عن الحلة... وعاد الى سكنة تلك البلاد ماكانوا عليه من البلاء.. وشرع اولياء الامور يعللونهم بالاماني.. حتى انقلب الامر وصارت الدولة مشروطة بالقوانين.. من ذلك في اواخر جمادي الاخرة وتكررت الشكوى مرارا الى ان ورد الجواب اسماع شكواهم وارسال المهندسين من الافرنج (يريد بهم السر وليم ويلكوكس وجماعته) لاصلاح السد... والمهندسون الان باشروا بالاعمال والله المسؤول ان يصلح امرنا..).

واذا كان الكتاب اكثره على غرار مقدمة الخطيب ومعجم ياقوت والمراصد قلما فيه من التاريخ فاسمه لايوافق مضمونه وهكذا الاجزاء التالية انها ليست تاريخية فقد جرى من الالوسي مجرى الخطيب البغدادي اذ سمى كتابه تاريخ بغداد وهو كتاب تراجم لاتاريخ ،كما قليل من كثير اطلعكم عليه برجوعكم سالمين غانمين بمنة وكرامة.

اشكر للحبيب فيليب شيحا الصديق القديم على سلامه وارجو منكم اذا لاقاكم ان تهدوه سلامنا مثله مع مزيد وعسى ان يكون ناجحا في اشغاله وقد ذكرني اسمه ايام الصبا والشباب.

الوالدة لاتزال طريحة الفراش غير قادرة على سير خطوة واحدة وان لاتشكو شيئا هي والاخ وقرينته وولداه والاختان جوزفين وفريده يشكرونكم على سلامكم وجميعهم يقدمون الى حضرتكم واجبات الاحترام والتكريم مع الامل بقرب ملاقاتكم في مجمعكم الادبي ودمتم باحترام وخير وعافية

المخلص يعقوب سركيس

من مجموعة رسائل الكرملي المحفوظة في المركز الوطني للمخطوطات.

من تاريخ الحركة الديمقراطية في العراق

رأي في مسيرة محمد حديد الديمقراطية

نجدة فتحي صفوة

سجل كامل الجادرجي في مذكراته رأيه في محمد حديد الذي زامله في العمل الحزبي نحو ثلاثين عاماً، قائلاً:.

(بالرغم من اني غير متفق معه كل الاتفاق في طريقة العمل، ولكنني اعتبره من الاشخاص النادرين في العراق بالنظر لمتانة اخلاقه ومقدرته العلمية في القضايا الاقتصادية والمالية، ولسعة اطلاعه في الامور الاخرى. إذ قلما تجتمع الثقافة والاخلاق في شخص مثلما اجتمعت في محمد حديد).

تولى محمد حديد وزارات المال والصناعة والاعمار في العهد الجمهوري فكان الوزير الذي يستمد قوته من كفايته ونزاهته وثقافته، والسياسي الذي لم يمالئ من اجل منصب، ولم يتراجع عن موقف من اجل مغنم، ولم يحل انتماؤه الى اسرة ثرية من وجهاء الموصل، دون اعتناقه الافكار الاشتراكية التقدمية المعتدلة التي وجدها ضرورية لرفع مستوى شعبه، ولم يتأثر بخلفيته العائلية ولا بمصالحه الشخصية. وكان سياسياً مثالي الافكار وواقعي الرؤية في الوقت نفسه، وقد حاول التوفيق بين الاماني الوطنية، والإمكانات المتوافرة لتحقيقها، ونجح في مسلكه هذا نجاحاً كبيراً.

تلقى محمد حديد دراسته الابتدائية والثانوية في مدارس الموصل، ثم اكمل دراسته التحضيرية في الجامعة الاميركية في بيروت، وقد ارسله والده للدراسة في الخارج في ذلك الوقت المبكر يوم كان ارسال الاولاد للدراسة خارج العراق امراً غير مألوف. وبعد اكماله الدراسة في الجامعة الاميركية في بيروت Junior College، قبل في "مدرسة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية (LSE) وهي احدى كليات جامعة لندن. و وتخرج محمد حديد فيها سنة ١٩٣١ بدرجة شرف، ولعله كان أول عراقي يتخرج في هذه الكلية ذات المستوى العالي والمكانة العلمية المرموقة عالمياً. وكان في عداد اساتذته عدد كبير من مشاهير العلماء الاقتصاديين الذين برزوا بعد ذلك في صفوف (حزب العمال) البريطاني وشغلوا مناصب مهمة، مثل كلمينت أتلي (رئيس الوزراء في ما بعد) وهيودولتن (وزير المالية في حكمة أتلي العمالية) وريتشارد تاوني، وجون مينارد كينز (اللورد كينز)، وهارولد لاسكي وغيرهم ممن سيرد ذكرهم في هذه الدراسة.

ولاشك في ان دراسة محمد حديد في لندن على أيدي هؤلاء العلماء الاقتصاديين، كانت من اهم العوامل في صوغ افكره الديمقراطية والاشتراكية، واعتناقه مبادئ العدالة الاجتماعية التي آمن بها، ودافع عنها، وعمل لأجلها طوال حياته.

وعلى اثر عودته الى العراق عين محمد حديد في وزارة المال، وتدرج في وظائفها منذ ايلول (سبتمبر) ١٩٣١، فكان مفتشا ماليا، فوكيلا لمدير التجارة والاقتصاد، فوكيلا لمدير الواردات العام.

وفي الوقت نفسه، اتصل محمد حديد، بعد عودته، بمجموعة من المثقفين الذين سبق ان زامل بعضهم في الجامعة الاميركية في بيروت، وتعرف الى البقية بعد عودته، كان احد المؤسسين الاوائل لجماعة الاهالي التي تبنت افكارا مشابهة لمبادئ "الجمعية الفابية" وحزب العمال البريطاني في ذلك الوقت، وكان لها اثر كبير في نشر الوعي السياسي التقدمي في العراق وقد اجتذبت هذه الجماعة الى صفوفها بعض السياسيين الذين كانوا اكبر منهم سناً، مثل كامل الجادرجي وجعفر ابو التمن وحكمت سليمان، وعددا من المثقفين منهم خليل كنه، وجميل عبد الوهاب، ممن حافظوا على اتجاههم الاشتراكي او انضموا عنه وانقلبوا عليه في ظروف مختلفة.

وعلى أثر اغتيال بكر صدقي في الموصل، استقالت حكومة حكمت سليمان وخلفتها حكومة ألفها جميل المدفعي، وما كادت هذه الوزارة تتسلم امور البلاد في ١٧ آب (اغسطس) ١٩٣٧ حتى بادرت الى حل مجلس النواب الذي جاءت به حكومة الانقلاب، واجرت انتخابات جديدة، لم يشترك فيها محمد حديد، فانصرف الى الاعمال الاقتصادية، واسس "شركة الزيوت النباتية" التي اصبح مديراً مفوضا لها.

وبدأت الشركة انتاجها سنة ١٩٤٣، وبقي في هذا الميدان سنوات طويلة حصدت الشركة خلالها نجاحا كبيرا، وفي الوقت نفسه، لم ينقطع محمد حديد عن مواكبة الحياة السياسية، وسنة ١٩٤٦ اشترك مع كامل الجادرجي في تأسيس "الحزب الوطني الديمقراطي" وانتخب نائبا لرئيسه، واسهم في تحرير جريدة الحزب "صوت الاهالي" بمقالات اقتصادية وسياسية اتسمت بموضوعيتها واسلوبها العلمي وجديتها ومعالجتها القضايا الحيوية التي تهم البلاد والشعب في رؤية تقدمية عصرية.

وفي ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٦ عهد الى نوري السعيد تأليف الحكومة التاسعة، خليفة لوزارة ارشد العمري المستقيلة. اراد السعيد ان يضفي على حكومته صبغة قومية او مؤتلفة بان يشرك فيها بعض ممثلي الاحزاب، ولكنه نأى عن "حزب الاستقلال" والحزبين اليساريين المتطرفين وهما "حزب الشعب" و"حزب الاتحاد الوطني". كذلك سعى الى التقرب من "الحزب الوطني الديمقراطي" و"حزب الاحرار" ووفق في آخر الامر في اقناعهما بالاشتراك معه في الحكومة، وادخل ممثلا واحدا عن كل من الحزبين، فكان علي ممتاز الدفتري يمثل "حزب الاحرار" – وزيرا للمواصلات والاشغال – ووافق "الحزب الوطني الديمقراطي" على ان يمثله نائب رئيس الحزب محمد حديد، وزيرا للتموين. وكانت هذه وزارته الاولى.

وسنة ١٩٥٢، في عهد حكومة مصطفى العمري، حدثت الاضطرابات التي عرفت باسم "انتفاضة تشرين الثاني". وقد بدأت عقب نزاع بين طلاب كلية الصيدلة وادت الى انتشار الاحزاب بين طلاب الكليات والمدارس الاخرى، وخرجت تظاهرات صاخبة تسببت باشتباكات بين المتظاهرين ورجال الشرطة جرح على اثرها بعض الطلاب وافرد الشرطة وسقط قتيل واحد. ثم انتشرت التظاهرات خارج بغداد، فلما تفاقمت الامور وعجزت الحكومة عن تهدئة الوضع اضطر رئيس الوزراء مصطفى العمري الى الاستقالة، وعهد الوصي على العرش في تأليف الحكومة الى رجل عسكري هو (العميد الركن) نور الدين محمود الذي كان رئيساً لأركان الجيش. فاعلنت الحكومة الاحكام العرفية، وحلت الاحزاب، وعطلت الصحف، واعتقلت عدداً من الحزبيين والمعارضين.

كان محمد حديد في تلك الفترة، في زيارة الى لندن، فقام بنشاط كبير ودعاية واسعة للحزب الوطني الديمقراطي، فاتصل ببعض الصحف والمجلات المهمة مثل "الايكونوميست"، و"التريبيون" و"نيو ستيتسمان اند نيشن"، وبجرائد منها "التايمس" و "مانشستر غارديان"، وبعدد من اعضاء مجلس العموم والشخصيات البارزة في انكلترا مثل انورين بيفان وكينغزلي مارتن والبرابث مونرو، وكتب رسائل عدة الى محرري الصحف الكبرى، منها رسالة الى محرر "التايمس" اللندنية قال فيها: "ان الاحوال المؤسفة السائدة في العراق يجب القضاء عليها بالديمقراطية الصحيحة، ولا يمكن معالجة الشعور المعادي للبريطانيين إلا عندما يشعر الشعب العراقي بان بريطانيا تؤيد اقامة الديمقراطية الصحيحة في العراق.

وكتب الى محرر "مانجستر غارديان" رسالة اخرى انتقد فيها تسامح المحرر مع الدكتاتوريات العسكرية، وذكر ان شعوب الاقطار المختلفة في القرن العشرين ادركت حقوقها في الحرية والعدالة في ظل حكم دستوري، واذا ما سادت بريطانية الدكتاتوريات فانها ستخسر ود تلك الشعوب وصداقتها".

وقد علق المحرر على ذلك قائلا: "اذا كان الحكم العسكري هو البديل الوحيد لحكم الغوغاء، واذا نقد الاصلاحات الجذرية، فلا بأس به".

كان محمد حديد، على امتداد حياته السياسية، معتدلا في ارائه، واقعيا في تقديره للامور. اتهمه بعض خصومه وخصوم "الحزب الوطني الديمقراطي" بالشيوعية وبقدر من المسؤولية عن انتشارها في العراق، ولكن اعماله ومواقفه تدل دلالة قاطعة على انه لم يكن شيوعيا، بل ان اليسار الشيوعي وصف "الحزب الوطني الديمقراطي" باليمينية والبرجوازية الوطنية. وكان من اهداف محمد حديد من البقاء في الحكم الحد من المد الشيوعي والحفاظ على التوازن بين القوى السياسية.

والواقع ان محمد حديد كان يؤمن بالاشتراكية المعتدلة والديمقراطية التي تناسب ظروف العراق السياسية وحالته الاجتماعية في رؤية واقعية وفهم عميق لاوضاع العراق وحاجاته، بعيدا عن المواقف المتطرفة التي تبناها الحزب الشيوعي الذي كان لاينحرف عن مواقف الاممية الشيوعية وسياسة الحزب الشيوعي السوفياتي، سواء اكانت تلك المواقف تناسب ظروف العراق وتخدم مصالحه ام تتجاهل ذلك. فقد كان ولاء محمد حديد التام للعراق، واهتمامه متجها الى مصالحه وحدها، بمنأى عن الاقليمية والطائفية والمصلحة الشخصية والنفوذ الاجنبي، نزيها، محافظا على كرامته الشخصية في جميع الظروف.

عن مقدمة مذكرات محمد حديد (الصراع من أجل الديمقراطية)

مدينةُ القُرنة في كتاباتِ الرحَّالةِ الأجانبِ

د. عِماد جاسم الموسويّ

مَا لاشكّ فيه أنَّ أدب الرحَلات والأسفار من أمتع فصول الأدب والتأريخ، وأكثر مؤلفاته رواجاً، وأحسنها قَبولا لدى القرَّاء؛ لما لها من أثر في نَفس القارئ إذ تجعله يَتصوَّر أنَّه يعيش تلك الحياة، ويَستمتعُ كثيراً بقراءتها، ويَهوى مُتابعة مَسير أولئك الرحَّالة، وتتبّع تنقّلاتهم، والتعرّف على انطباعاتهم عن المناطق والمُدن والقُرى التي مرّوا بها، وكتبُوا عنها بأحوالها المختلفة. وسنُحاول في هذا القسم من مَقالتنا أنْ نُسلّط الضَوء على مُشاهدات الرحَّالة الأجانب لمدينة القُرنة ذات التأريخ العَريق، والطبيعة المميّزة، والموقع الجُغرافيّ المُهمّ الذي جَعلها مَحطّة رئيسة تتوقّف فيها السُفن التي تَحمل الرحَّالة وغيرهم من المُسافرين إلى بَغداد وبقيّة مناطق العراق أو القادمين منها، أو القادمين من الخَليج العربيّ، أو المسافرين عن طريقه إلى مناطقَ أخَر

ومِمّا يَجدر ذكره هُنا أنَّ الاهتمام بتأريخ تلك المُدن مُهمٌ جداً للتعرّف على الإرث الحضاري والثقافي لمدننا؛ لما له من دَور كبير في تَنشئة جيل قويّ مُحبّ لوطنه وتَأريخه وتُراثه، إذ إنَّ الفَلسفات التربوية تُؤكد على أنَّ من الأسس التربويّة الصَحيحة هو إبراز الدَور الحضاريّ والتاريخيّ لأيّ شعب أو مدينة أو دولة؛ لما له من أثر في تَجفيز الجيل والنَشئ على الانتفاعِ من ذلك التأريخ. القُرنة هذه المدينة الجميلة التي عَدّها البعض جَنّة عدن؛ للطبيعة التي تَمتاز بها، ومع هذا لم نرَ كتابات تاريخية مُنفردة تُعنى بإبراز تأريخ هذه المدينة المعطاء؛ لذا حاولنا في هذه المقالة إبرازها من خلال وَصف الرحَّالة الأجانب الذين مرّوا بها مُنذُ مئات السنين، الأمر الذي يؤكّد عراقتها وتاريخها الطويل الممتد إلى جُذور عَميقة. ومن أشهر الرحَّالة الأجانب الذين زاروا مدينَة القُرنة (كاسبارو بالبي) الإيطالي الجنسية الذي كان في طريقه إلى الهند فوَصل إلى العراق عام ١٥٨٠ عن طريق البصرة. ويَصف (بالبي) الوَضع الاقتصادي، وعمل السُكّان في القُرنة بقوله: ((يَستخدم السُكّان آلة لطيفة يَصطادون بها كمّيات وافرة من السَمك وما هذه الواسطة سوى قصبة مُجددة الرأس لا غير)) ويَقصد بتلك الآلة (الفَالة)، ثُمَّ يُضيف (بالبي) ((يَعيش هؤلاء الناس حَياةً هانئة لكثرة ما عندهم من الحنطة، والجدير بالذكر أنَّ حبّة الحنطة هُنا كبيرة جداً تَفوق الحجم الاعتيادي، ويَرجع سَبب ذلك إلى أنَّ حقولهم فَسيحة وواسعة جداً؛ لذا بإمكانهم الزرع في حقل ارتاح مُدّةً طويلة من الحَصاد الأخير، وقد تطول هذه المدة إلى خَمسة عشر أو عشرين شهراً، ففي مثل هذه الحالة يُعطي مثل هذا الحقل ثَمراً جيّداً، لهذا السَبب نَرى أنَّ تلك المناطق عامرة بالسُكّان والدُور. يَتّضح من خلال ما ذكره (بالبي) عن القُرنة الوضعُ الاقتصاديُ الجَيّدُ للمدينة وثَرائها بأنواع الأسماك، والتربة الجَيّدة الصالحة للزراعة، وهذا يعني أنَّ المنطقة كانت مُصدّرة للأسماك والحُبوب؛ لأنَّ ناتجها كثير، ويَفيض عن الاستهلاك المحلي لسُكّان القُرنة، إذ كما معلوم أنَّ هُناك مَناطق ومُدن كانت مُحيطة بالقُرنة أو قَريبة منها كانت تتعامل معها تجاريا وتتبادل معها السلع والبضائع المُختلفة، ويُشير هذا الأمر إلى أنَّ مدينة القُرنة كانت مُتفوقة اقتصادياً على غيرها من المُدن والمناطق بحكم الطبيعة التي كانت تتميز بها، ولاسيّما وجود الأهوار والأراضي الزراعيّة الخَصبة التي تُعدُ من المُقوّمات الأساسيّة لنجاح الزراعة في أيّ مكان بالعالم.

أمّا بالنسبة للرحّالة الآخر الذي زار العراق ومَرّ بمدينة القُرنة فهو الإيطالي الأب (سيبستيانى) في عام ١٦٥٦ وعند وصوله إلى القُرنة وصفها بقوله: ((القُرنة يلتقي فيها دجلة بالفرات بعد أن يُخلّفا بُحيرات – أهوار – واسعة على طريقهما، تُدفع فيها ضريبة المكوس عن البضائع التي تَحملها القوارب، وعندما اتجه القُبطان إلى المكان الذي تُدفع فيه الضريبة هبّت رياح قوية مزّقت الشراع من أعلاه إلى أسفله، ودفعتنا بعيداً، فجاء رجالُ الكمرك إلى هُناك ليستوفوا الرسوم، ولم يُلقوا نظرة على أمتعتنا فقد اعتبرونا دراويش فرنجيين – وهذه عادة الكمارك العُثمانية في مُعاملتها لرجال الدين)).

يُضيف (سبيستياني) بالقول: ((يُحيط بالقُرنة أسوارٌ شيّدتْ باعتناء بالغ، لكنّها ليستْ ذات شأن لأنّها من طين، والقُرنة بلدةٌ كبيرةٌ على ما تَظهر، وموقعُها مهمٌ نَظراً لكونها مُشيّدة أمام هذا النَهر الواسع العظيم وإلى يَسارها فرعٌ كبيرٌ من دجلة، إذ يَلتقي هناك من جديد)). ويُعْطِي (سبيستياني) انطباعاته عن السُكّان فيقول: ((إنَّهم يؤدُّونَ الصلاة يَومياً مُنذ الصباح الباكر عند نُهوضهم ثُمَّ في مُنتصف النَهار وفي المساء عند الغُروب وهُم يُصلّون بسَجدات وركعات وانحناءات مُتكرّرة ولم يتأخّروا عن مَوعد أداء الصلاة، فكانوا يَنزلون عن الخَيل ويَتركون كُلّ عَمل آخر من أجَل القيام بالصَلاة وللمُسلمين أدعيةٌ كثيرةٌ وأوراد يُرددونها دائما، ونَحنُ في المركب يُطلبون من اللّه السَفر الميمون المُوفّق)). وهنا نَودُّ أن نُبيّنَ أنَّ لمِهنة الرحَّالة، وأعمالهم تأثيرٌ كبيرٌ على انطباعاتهم ومُشاهداتهم، إذ يُركّز كثيرا على الجانب الذي يَمتهنه؛ ولذا لاحظنا (سبيستياني) يَتحدّثُ بهذه الطريقة عن السُكّان ولم يُغفل الجانب الديني لكونه رجل دين.

ومن الرحَّالة الآخرين الذين زاروا القُرنة في القرن السابع عشر هو الفرنسي (تافرنييه) الذي قال عنها: ((القُرنة يَقترن فيها الفُرات بدجلة وفيها ثلاثُ قلاع، الأولى في مُلتقى النهرين وهي أحصنها، فيها يُقيم ابن أمير البصرة الذي يَحكمها، والثانية في جانب كلدية، والثالثة في جانب بلاد العرب، ومع أنّه يُطالب هناك بالرسوم الكمركية بتمامها فَتُدفع فإنّهم لا يُفتّشون أيّ شَخص)). وعن ثروات هذه المدينة يقول (تافرنييه): ((إنَّ هذه الأراضي من أحسن ما يَمتلكه السُلطان لاشتمالها على مَراع واسعة، ومُروج نضيرة يُربّى فيها عددٌ كبيرٌ من الحُيوانات خاصّة الأفراس والجواميس، ومُدّة حَمل الجاموس اثنا عشر شهرا وهي تدرُّ حليباً وافراً جداً حتّى إنّ بعضها يدرُّ اثنين وعشرين بنتاً – البنت يُساوي ثمن الغالون – في اليوم وتُستخلص منه مقادير وافية من الدهن)).

كما إنَّ (تافرنييه) بيّنَ في رحلته مقدار الضرائب التي تُستوفى في القُرنة إذ يقول: ((يُدفع عن كل رأس جاموس ذكرا كان أم أنثى قرشا وربع قرش في السنة، وعلى كلّ فرس يُدفع قرشان، وعلى كل شاة عشر سوّات – السو نقد فرنسي يساوي ٢٠/١ من الفرنك الفرنسي أي ما يعادل خمس سنتات)). فضلاً عن ذلك فإن (تافرنييه) بيّنَ أموراً أخرى بالقول: ((إنّه لا يُمكن المرور من قلعة القُرنة المزودة بمدفع دُون إذن، والتقينا بابن أمير البصرة الذي كان حاكم القلعة، وهنا يُسجّل حساب الكمارك، ومع أنّ رجال الكمارك يُمعنون في تَحري السُفن فإنّهم كثيرو اللُطف، فلا يُفتّشون أي شخص، وعند قيامهم بهذا الواجب لا يهملون التفتيش عن البضائع المخبّأة بين الوَاح السفينة أو المغطّاة بالحطب والعيدان، ولموظّفي الكمرك مثقب طويل يجبُون به جَوانب السفينة لاكتشاف ما قد يكون فيها من بضاعة مُخبّأة، إنَّ البضاعة تُسجّل في القُرنة ولكنّ رُسوم البصرة تُدفع دائما في البصرة بحسب القائمة المُعطاة من قلعة القُرنة)).

خِتاماً نَودُّ أن نُشير إلى أنّنا حاولنا أن نُسلّط الضَوء على الكتابات التاريخية عن مدينة القُرنة لنتعرّف على أهميّته هذه المدينة وغناها من خلال ما ذكره الرحَّالة الذين مرّوا بها، وهنا لابد من القول أيضاً إنّ تلك الرحلات لم تقتصر على هؤلاء الرحَّالة الذين ذكرناهم في هذا المقال بل إنَّ رحَّالة آخرين قد زاروا العراق وتوقفوا بمدينة القُرنة من أمثال (فردريجي) و(نيبور)، و(أبو طالب خان الهندي)، و(جاكسون)، وغيرهم.

الصناعيون العراقيون الرواد ودورهم في تطورالإقتصاد العراقي

د. عدنان القطان

عملت بريطانيا إبان فترة احتلالها ثم انتدابها للعراق (١٩١٤ – ١٩٢٠) على تبني سياسة مزدوجة اولاها تمثلت بدعم شيوخ العشائر والملاكين بغية الاعتماد عليهم في تسيير أمور الحكم في حين اتجه المحور الثاني نحو تنمية اقتصادية داخل المجتمع العراقي والارتكاز عليها وهو ما يطلق عليها (البرجوازية الكومبرادورية) وهي شريحة من البرجوازية في أقطار العالم الثالث، تمثل النقيض التام للبرجوازية الوطنية، إذ انها تربط مصالحها بالرأسمال الأجنبي والاستعماري وتشترك معه كوسيط في السيطرة على الأسواق المحلية، إذ أنها تقوم بدورها في إبقاء أقطارها كأسواق لتصريف البضائع الأجنبية وخاصة الاستهلاكية، وكمصادر الخام بالنسبة للاستعمار العالمي كما وانها تتبع الأساليب الملتوية في حصولها على الأرباح، ولأنها لا تؤدي أي إنتاجية محلية سميت بالعربية بـ (البرجوازية الطفيلية)، لذا نراها تعمل على منع قيام صناعة وطنية حقيقية وإبقاء سوق العراق مفتوحا أمام البضائع الإنكليزية المصنعة ومن خلال انشاء بعض الصناعات ذات الطابع الاستهلاكي ومنها صناعة الجلود والتمور والطابوق وبقصد سد حاجة الجيش البريطاني العامل في العراق بالدرجة الأولى.

بعد تشكيل الدولة العراقية عام ١٩٢١م:

رافق تشكيل الدولة العراقية حماس وطني من خلال جهود بعض الشخصيات ذات التوجه البرجوازي الوطني بتشجيع الصناعة الوطنية خاصة تلك التي تعتمد على المواد الأولية المحلية، وكان لتراجع الإنتاج الحرفي بشكل كبير حيث لوحظ ان الصناعات الحديثة كانت سببا في انقراض العديد من الصناعات التقليدية التي كانت شائعة حيث انقرضت هذه الصناعات في مطلع النصف الأول من القرن العشرين، كان لهذا أثره في افساح المجال أمام الرأسمال الوطني للدخول في الميدان الصناعي، ومن هنا اندفعت الصحف والأحزاب السياسية الى تنمية الوعي الوطني بإقامة مشاريع صناعية وطنية جديدة كصناعات الاسمنت والزجاج والورق مع الدعوة لتوفير الحماية لها.

وقد اتضح حرص الوطنيين على تنمية الاقتصاد العراقي بالدفاع باتجاه اصدار سلسلة من التشريعات القانونية الخاصة بتشجيع القطاع الصناعي ولعل أبرز هذه التشريعات قانون تشجيع المشاريع الصناعية لسنة ١٩٢٩م، الذي وضع الأسس الأولى لنهضة صناعية حديثة، والأمر الملفت للنظر ان الدعوة الى بناء صناعة حديثة عدت جزء من حركة وطنية أوسع نطاقا وذلك في محاولة لإقامة قاعدة اقتصادية قوية لتحقيق الاستقلال السياسي والوقوف بوجه المحاولات الاستعمارية البريطانية التي كانت تستهدف إبقاء أبناء العراق في حالة من التخلف والتبعية، أثرها بدأ العراق يشهد بروز صناعات حديثة مثل صناعة المنسوجات الصوفية والسكاير والدباغة والشحاط والجلود والأحذية والصابون والمشروبات الكحولية والصناعات الغذائية والانشائية.

ومن المفيد بالإشارة الى ان مثل هكذا صناعات خاصة – أي ذات ملكية فردية – لابد لها من رعاة ونعني تحديدا بما يعرف بـ (البرجوازيين الصناعيين) ويأتي في مقدمة هؤلاء الذين برزوا على الساحة الاقتصادية العراقية نوري فتاح باشا (وهو تركماني الأصل من مدينة كركوك مواليد ١٨٩٣م ومن عائلة عرفت امتهانها التجارة، انتقل والده الى بغداد، فولد ببغداد وأكمل دراسته الإعدادية فيها وفي ١٩٠٩م توجه الى إسطنبول ليكمل دراسته العسكرية وتخرج منها عام ١٩١٢م برتبة ملازم في الجيش العثماني حتى عام ١٩١٦، وفي عام ١٩٢٦م اتجه للعمل مع والده في تأسيس معمل نسيج الكاظمية، توفي عام ١٩٧٦م.

معمل فتاح باشا للغزل والنسيج:

دخل في تاريخ الصناعة العراقية عام ١٩٢٦م (معمل فتاح باشا للغزل والنسيج) في الكاظمية ببغداد، لكونها كانت مركزا مهما تتواجد فيه أغلب معامل ومشاغل النسيج اليدوي، مما ساعد في رفد المعمل الجديد بالأيدي العاملة ذات الخبرة السابقة بالصناعة الصوفية، وبدأ المعمل يمارس نشاطه في عام ١٩٢٦م حيث تولى نوري فتاح إدارة الاعمال المالية والتجارية والإدارية، في حين تولى صالح إبراهيم إدارة الأمور الفنية، وكان المعمل في مرحلته الأولى يقوم بإنتاج الغزل الصوفي فقط ويجهزها الى مشاغل النسيج اليدوية الصغيرة والى مصلحة السجون التي كانت تقوم بإنتاج بعض المنسوجات الصوفية والسجاد اليدوي، وبلغ عدد العاملين فيه مع بداية العمل (٦٥) عاملاً، ومع مرور الوقت استكمل المعمل معداته حيث احتوى على (٤٠) نواةً مستورداً من بولندا، وجهز بمحرك بخاري بقوة (٧٥) حصاناً وجهاز لتوليد الكهرباء، وباشر المعمل بإنتاجه، وحسب الشكل المخطط له، أواخر عام ١٩٢٩م، وأشرف عليه في بداية الأمر فنيون بولنديون ووصل عدد العاملين فيه زهاء (٣٠٠) عامل وعاملة، و (٨) موظفين اداريين و (٥٠ – ٢٥٠) فلساً يومياً حسب كمية العمل وقدرة العامل، وتجدر الإشارة الى ان نوري فتاح اعتمد في إدارة المعمل على زملائه من الضباط المتقاعدين، وذلك لضبطهم الإداري وحاجتهم الى فرص العمل.

غير ان النجاح الذي حققه المعمل لم يكن لولا المساعدة والتشجيع الشعبي والحكومي الذي حصل عليه، فعلى المستوى الشعبي لقي تأسيس المعمل ترحيباً كبيرا من قبل الرأي العام العراقي، وعدت الصحف العراقية هذا المعمل (المعمل الأول) من نوعه في العراق، ونموذجا يحتذى به لإقامة مشاريع صناعية وطنية مماثلة، بوصفه معملا يضاهي المعامل الأوربية، ودعت الشعب الى تشجيعه من خلال الإقبال على شراء منتجاته، كما حملت الحكومة والشعب مسؤولية بذل أقصى الجهود بهدف زيادة الوعي الشعبي للأقبال على شراء المنتوجات الوطنية.

وتلبية لدعوة الحكومة للمؤسسات الرسمية والعسكرية لابتياع منتجات معمل (فتاح باشا) تشجيعا للصناعة الوطنية، تعاقدت وزارة المالية مع المعمل لتزويد وزارة الدفاع بما تحتاجه من منتجات، بشرط أن تكون الأسعار أرخص من المستورد، كما قررت الوزارة منح المعمل سلفة قدرها (لكن ونصف لك روبية) بفائدة قدرها ٥٪ غير ان وزارة الدفاع طلبت من وزارة المالية إلغاء الفائدة، لكون هذه الصناعة في بداية نشؤها، وهي بحاجة لتشجيع حقيقي، فوافقت وزارة المالية على ذلك، كما تعاقدت وزارة المالية مع المعمل على تزويد منتسبي وزارة الداخلية بما تحتاجه من المنسوجات والبطانيات بشرط أن تكون الأسعار أرخص من المستورد أيضا غير ان المندوب السامي البريطاني (كلبرت كلايتون) اعترض على منح السلفة الى معمل. فتاح باشا، على أساس مخالفة للقانون الأساس العراقي، ولأن المبلغ يتطلب موافقة البرلمان لكن الملك فيصل أبلغ المندوب السامي بأن المبلغ ليس سلفة بقدر ما هو استثمار مبلغ يودع لدى المعمل مقابل ضمانة وفائدة محددة وبناء على ذلك وافق مجلس الوزراء في ١١ شباط ١٩٣٠م على منح المعمل سلفة قدرها (٧٥) ألف روبية من تخصيصات وزارة الدفاع في الميزانية العامة لقاء تزويد الوزارة باحتياجاتها. وبالمقابل وافق (نوري فتاح) على تسليم منتجات المعمل الى الوزارة وبسعر أقل من السعر المستورد، ولم يقتصر نشاط (نوري فتاح) على صناعة الغزل والنسيج فقط بل تنوعت نشاطاته وتعددت، فكانت له مساهمات في العديد من المشاريع الصناعية والاقتصادية الوطنية، إذ قام هو ومجموعة من العراقيين باستيراد مكائن والآلات لتأسيس محلج قطن وتم افتتاحه في عام ١٩٣٠م، في منطقة الصرافية في بغداد وبرعاية الملك فيصل الأول تحت اسم (شركة تجارة وحلج الاقطان العراقية المحدودة) وشغل منصب عضو مجلس إدارة فيها.

من بحث نشره مركز الرافدين للدراسات الاستراتيجية بعنوان (البرجوازية الصناعية العراقية ودورها في الاقتصاد العراقي منذ أواخر العهد العثماني حتى عام ١٩٥٨م).

لميعة توفيق وذكريات أغانيها

حيدر شاكر الحيدر

حينما نتذكر لميعه نتذكر أغانيها التي جذبت من خلالها جمهور واسع امتد على مساحة الأرض العراقية على اختلاف إشكالها فأغاني نيشان الخطوبه اليوم جابولي وشفته بالعجل حبيته والله إضافة الى يالماشيه بليل الهلج ويمه هنا يمه / وجينا نشوفكم يايمه انطيني الدربيل / هذا الحلو كاتلني ياعمه / اما أغنية لاخير التي قدمتها بصوتها بمنتصف العقد الستيني فهي الأخرى لاقت شهرة واسعة وتم تسجيل هذه الأغنية كاسطوانة لأحدى شركات التسجيل بالكويت اي قبل ان تشتهر بصوت الفنان فاضل عواد وهي قصيدة للشاعر طارق ياسين لحن بعض من مقاطعها الملحن حسين السعدي.

لميعه توفيق قدمت ألوان السويحلي وطور الابوذيه نستطيع ان نطلق على هذه الفنانة بمطربة الهجع اضافة كونها بغدادية وريفية.

مثلت العراق بالعديد من المهرجانات الغنائية خارج العراق فكانت سفيرة هي الأخرى لأغانينا الرصينة مازلت أتذكر إن هذه الفنانة كانت تدير ملهى الاوبرج بمنطقة السعدون قرب سينما النصر ومن خلال الملهى كانت تقدم حفلاتها الغنائية وأيضا توطدت علاقاتها مع الكثير من الفنانين والفنانات العرب والعراقيين من كلا الجنسين كان تعامل الملحنين العراقيين مع صوتها وشعراء الأغاني عاملاً مهماً من عوامل نجاح مسيرة هذه الفنانة ومن الأسماء التي كانت تحضر بمسيرتها كل من الملحن محمد نوشي بأغاني شفته وبالعجل حبيته والله واغنية هذا الحلو كاتلني ياعمه اما الملحن خزعل فاضل فقدم لصوتها ومن الحانه مساء الخير ياأهل المحبة وللملحن محمد عبد المحسن أغنية صوره غريبه ولمحمد نوشي اضافة لما ذكرته اغنية همه جم دوب العتاب ومريت.

ومرة أخرى يقدم لصوتها الملحن خزعل فاضل أغنية انظر طلوعك ياكمر وللملحن ناظم نعيم قدمت أغنية ياسميره من كلمات ابو عادل وفي الحان وكلمات سالم حسين اغنية شوي شوي.

هكذا كانت تكلم الأغاني ذكريات لا يمكن ان تمر مرور الكرام بذاكرة الأجيال التي عاصرت هذه الفنانة والتي غابت عن الساحة الغنائية العراقية في العقد الثمانيني لتعيش بقية سنوات عمرها بين المرض والحنين لماضي مبدع هي من استست له لتغادر الى العالم الآخر عام ١٩٩٢ تاركة قصصها الغنائية لتقرأ بين الحين ولآخر.

أتذكر في ليلة من ليالي بغداد وتحديداً عام ١٩٦٩ كنت قد حضرت مع عائلتي حفلاً بإحدى البيوت في مدينة بغداد بمنطقة القناة والمناسبة حفل ختان الأولاد حيث كانت العائلة على صلة بوالدي رحمه الله واستغرقت الحفلة تلك وقتاً طويلاً أمتد إلى الصباح وقد حضر الكثير من نجوم الغناء العراقي من مطربين ومطربات بذلك المنزل أتذكر منهم الراحلون عباس جميل / عبد الجبار الدراجي /عبد الصاحب شراد ومن المطربات

أحلام وهبي ولميعه توفيق كان من أيام الجمال وانأ مازلت في ريعان حياتي لم أتجاوز عمر ثلاثة عشر عاماً.

كانت لميعه توفيق رحمها الله وأسمها الثلاثي لميعه توفيق رؤوف تغني الغناء المتعدد الموال والريفي والبغدادي منه، أتذكر أغنية الهجع بإيقاعها المتميز مع تفاعل الحاضرين مع صوتها نساء ورجال.

وتمر السنون ومعها المتغيرات الحياتية الكثيرة وإذا بي أكتب عن هذه الفنانة بدراستي هذه المخصصة عن مبدعات العراق من الأصوات النسائية الرعيل الثاني، لأجد نفسي أمام لميعه توفيق صاحبة الصوت المميز ببحته التي لا تخلو من رائعة الأرض العراقية الآتية من الريف والمدينة.

لميعه توفيق التي تمتلك الثقافة الغنائية والعلمية حيث تشير المصادر ان الفنانة لميعه ولدت في العام ١٩٣٧ بجانب الكرخ منطقة علاوي الحله لها شقيقة هي الفنانة غاده سالم تخرجت وهي تحمل الدراسة الإعدادية ودرست الموسيقى بمعهد الموسيقى عام ١٩٥٠ (معهد الفنون الجميلة) قسم الموسيقى الذي تخرجت منه ١٩٥٩ كان دخولها الإذاعة والتلفزيون عام ١٩٥٣ إلا أن ١٩٥٦ شهد التميز لهذه الفنانة حيث اعتلت مسارح بغداد والمحافظات وأدت مجموعة كثيرة بلونها وأسلوبها الغنائي المعروف بريفيته وبغداديته لذلك فضلت لميعه توفيق الغناء على خشبة المسرح حيث كانت مقلة من تسجيل أغانيها وتصويرها من خلال التلفزيون فاكتفت بمجموعة من الأغاني لا يتجاوز الأربعين عمل.

وهي تجد المسرح عالم ذا شهرة واسعة بين الجمهور على حساب التلفزيون، الحديث عن مبدعتنا هو حديث عن صوت أطربت كل من استمع إليه كونه يجمع بين روح الريف العراقي وبين النكهة البغدادية المعروفة بجمال مدرستها الغنائية.

عن كتاب (الاصوات النسائية في الغناء العراقي) المعد للنشر.

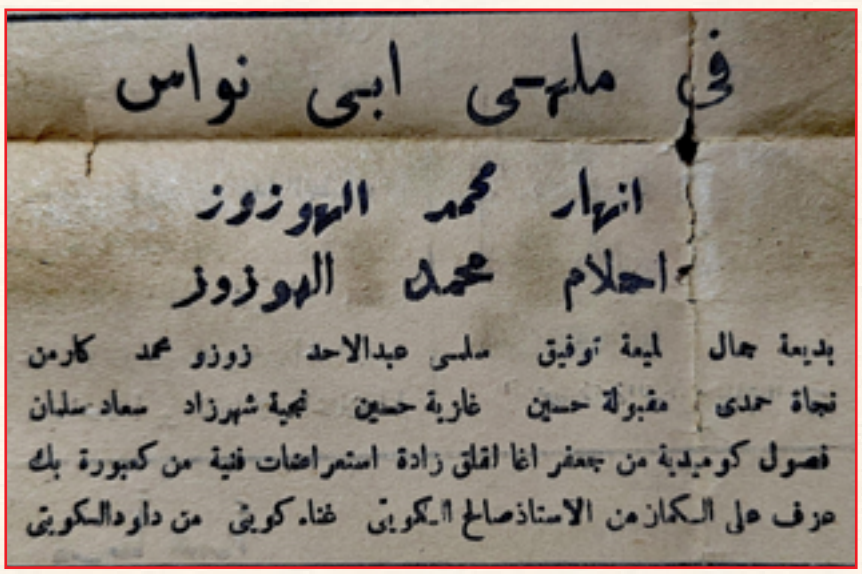

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (5947) السنة الثانية والعشرون -
الاثنين (21) تموز 2025

www.almadasupplements.com

رئيس التحرير التنفيذي: علي حسين

سكرتير التحرير: رفعة عبد الرزاق

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

"21عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون